حرف الضاد ٢٢٠

الضفدع الخياط محمد ابن يوسف ٥
ضياء الدين العَبْدي الشيخ المشهور بالديار المصرية كان حسن الشكل ظريفًا فيه
عفة وديانة وتنديبه ظريف وتنديره حلو وكانت له مكارم ووجاهة قال يوما وقد
راى الشيخ محمد القصار وهو في سماع يرقص فقال له يا قصار الحست الزرقة فقال
له القصار سريعًا من دقك الخارج واضافهم يوما انسان واحضر لهم توتا فلما اكلوه وغبت
الضيافة فقال الشيخ ضيا الدين يا جماعة توتة توتة فرغت الحدوتة وقال لي
شيخنا العلامة تقي الدين قاضي القضاة السبكي هو الذي كان السبب في ولاية الشيخ تقي الدين
ابن دقيق العيد قضا الديار المصرية وحلف عليه بالطلاق من زوجته ابنة ... واخذه
وطلع به الى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين وقال له جبتك بسفين بن عيينه او
الثوري كما قال وتوفي الشيخ ضيا الدين رحمه الله تعالى في جمادى الاخرة سنة تسع وعشرين
وسبع مئة بالقاهرة بزاوية بالقرب من جامع السلطان ٥
ضفدعا الدين ابن خطيب بيت الابار محتسب القاهرة وناظر البيمارستان المنصوري
اسمه يوسف ابن ابي بكر ٥

حرف الطاء

طا بطا بالطاء المهملة وبعدها الف وباء موحدة وطاء ثانية والف الامير سيف الدين مهملة
ولد الامير سيف الدين يلبغا اليحيوي احد امرا الشام مقدمي الالوف بحلب وبدمشق
كان رجلا اميا عن اعجميا لا يعرف ما الناس فيه ولا يدري الفرق بين الليم والسفينه
ذاق فقد مثل ذلك الولد وعدم الصبر عليه وللبلد فالعجب كل العجب حياته بعده
وكونه ما سكن فيه لحده لم يزل على حاله الى ان مضى بالموت ونعي عليه الصوت
وتوفي رحمه الله تعالى بحلب في صفر سنة خمسين وسبع مايه وقدم على البلاد لما حضر
عند الملك الناصر محمد هو وولده الامير سيف الدين اسندمر والامير سيف الدين قراكز
ولم يزل الى ان خرج والده يلبغا الى حماة نايبا فخرج هو واولاده ولما توجه يلبغا الى حلب
نايبا توجهوا معه وصار هو امير مئة مقدم الف واولاده امرا ولما جا يلبغا نايبا الى
دمشق حضر معه ولما جرى له ما جرى وهرب هرب معه ولما امسك بحماه امسك
وقيد هو وولده يلبغا وجهز الى مصر فلما وصلا الى قاقون تلقاهما الامير سيف الدين
منجك فاطلعهما الى قلعة قاقون وافرد كل منهم عن الاخر ثم انه ركب الامير سيف الدين
على البريد وجهز الى مصر هاما والده يلبغا فخنق وحز راسه وجهز بعده ثم ان طابطا
جهز الى الاسكندرية ولما تولى الملك الناصر حسن بعدما فرج عنه واطلقه وكان مدة للطغرم
مقامه في الحبس ثلاثة اشهر تقريبا وافرج عنه في شهر رمضان سنة ثمان واربعين
وسبع مايه ثم انه جهز اميرا الى حلب فاقام بها الى ان توفي رحمه الله تعالى في التاريخ المقدم
طاجار بالطاء المهملة وبعد الالف جيم والف بعدها راء الامير سيف الدين
الدوادار المارداني الناصري كان شكله مليحا ووجهه صبيحا مسترسل شعر
الذقن في سواد خفيف الحركة لا يلحقه الجواد وكان يغلب عليه اللعب واللهو
والانشراح والزهو لا يؤثر على الرقص شيا ولا يتخذ غير ظله فيا على انه مكنه اسنا
تمكينا كثيرا ولحله من الدولة محلا اثيرا ركبه في البريد الى الشام مرات وتلقاه
الناس بالخيول والبركات وحصل ما الجز يلا في مدة قريبه ولقتنا اشيا من كل صنف عجيبه

الصفحة الأخيرة من نسخة الأصل

٩٠ سم ٦

ساورت في العليا حتى صرت شهوة كل شهوه
لا أستجيب لغير مد ح الشيخ شمس الدين دعوه

يونس بن علي بن جعفر بن محمد الفقيه شرف الدين الهاشمي الأرمنتي كان من الفضلاء النبلاء قليل الكلام كثير الاحتشام واسع الصدر بشاشا كان سمع من أبي العباس أحمد بن أحمد القرطبي واشتغل بالفقه على خاله الرضي الأرمنتي وعلى الشيخ جلال الدين الدشناوي وتولى الحكم بعدة أماكن منها دشنا وأدفو وإسنا وأبنوب وقمولا وما معها من القرى ونقادة وناب بقوص وربما من ثلاثين سنة في أهلها راضون عنه وله معرفة بالفرائض والحساب والوراقة ودرس بالمدرسة العزية ظاهر قوص والعاد بالمدرسة الشمسية مدة قال كمال الدين الأدفوي وكان حلو الخلوة ينبسط ويبتسم وفيه تعبد وعليه مهابة فقيه النفس يتكلم على الوسيط كلاما حسنا ولما حج آخر حجة اجتمع بقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة وتحدث معه فأعجبه سمته وأحسن إليه وأضافه ضيافة حسنة كبيرة وخطر له أن يوليه الشرقية فذكرت له فقال أنا في آخر العمر ما أخرج من وطني وأيضا فأنا في قوص أي من ولي أقرني على حالي والكد على غيري ووقع من علو فمات رحمه الله تعالى بعد ساعة سنة أربع وعشرين وسبع مائة

اليونيني الشيخ شرف الدين علي بن محمد . وقطب الدين موسى بن محمد

تم الكتاب بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه
نهار الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول
سنة ٩٧٣ من الهجرة النبوية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام بخط
العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه القدير
أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر العواجي نزيل مكة المشرفة
عفا الله عنه بمنه وكرمه آمين
آمين



الصفحة الأولى من الجزء الثاني (نسخة ق)

بسم الله الرحمن الرحيم عفوك اللهم

ادريس

بن عبد الله الأمير عماد الدين الحسني الحمزي اليمني

عماد الدين اليمني

كان أحد أمراء اليمن في دولة الملك المؤيد ... وكان فاضلاً
فارساً مع ذلك أتقن علوماً وأنشأ شعراً ومنطقياً وكان
زيدي المذهب ناشر العلم المذهب همّ أهل مذهبه ببلاد اليمن
أن يعقدوا له الزعامة ويرشحوه للإمامة لأنه جمع بين الشجاعة
والكرم ونبع من إنشاده في تصرفهم فامتنع ونزع يده فعاد
لذلك الملك المؤيد وأيده ولم يزل على حاله إلى أن تم أمره وأثنى
عليه كثيره وتوفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة وسبع ومن شعره

إلى الحمزي

عوجا على الرسم من سلمى بذي قاد واستوقفا العيس في ساحة النادي
وسائلاها عسى تنبيكما خبراً يشفي فؤادي فتقضي لبعض أوطاري

منه

يا راكباً بلغاً عني بني حسن وخص حمزة قرمي عترة الجاد

الصفحة الأولى من الجزء السابع (نسخة ق)

١

علي بن عيسى

علي بن عيسى بن سليمان بن رمضان بن أبي الكرم الشيخ الرئيس الكاتب الفاضل
المعمر بهاء الدين أبو الحسن ابن الشيخ الفقيه ضياء الدين ناظر الأوقاف وصهر الوزير
بهاء الدين بن حنا التغلبي المصري يعرف بابن القيم سمع من النجيب الفارسي وعبد العزيز
بن باقا وضبط التلقي وتفرد عن الفارسي، وكان فيه قوة، وهمة مرتفعة
يركب الخيل ويصرف مصالحه ويسعى في حوائجه، وعنده دين وأف
وذكاء، ولطف في ملقاه، وتواضع وهو على أعلى مرقاه، ولم يزل على حاله
إلى أن انصرم أجله، وبان انصرام أجله، وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشر القعدة
سنة عشر وسبعمائة ومولده سنة ثلث عشرة وستمائة وسمع منه الدمياطي والحارثي
وشيخنا البرزالي والذهبي وشيخنا العلامة قاضي القضاة السبكي والواني والنويري
وابن سامة وابن المهندس والشيخ رافع وابن الشيخ ... حضوراً وابن الفخر وابن ...
وقرأ له شيخنا الذهبي الأول من حديث ابن عيينة للرئيس الثقفي وكان يركب الخيل
ويقوم لكل من يدخل عليه ويمشي أموره وكان ناظر الأحباس ... الترك ...
وقرأ ... الصاحب بهاء الدين

الصفحة الأولى من النسخة (خ)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حرف الهمزة آباجي

[illegible]

الصفحة الأخيرة من النسخة (خ)

علاء الدين بن الأثير طلبه السلطان الملك الناصر محمد ليكتب بين يديه شيئا في السر على أن يجعله
كاتب سر فلما أخذ الأمير سيف الدين الجاي الدوادار بيده ودخل به في دهليز القصر أخذت في
سراويله تاعق من الدخول ولما كبرت سنه غورت عينه وانهدت أركانه قواه وهو ملازم الخدمة
أقول له لو وفرت نفسك وقعدت في بيتك كان خيرا فكان يقول أخاف أنهم يقطعون معلومي ولم
يكن أحد يقدم على ذلك لتقدم هجرته وثبوت قدمه في الخدمة ولكن كل ذلك من ضعف نفسه
وكان يكتب خطا رديا ضعيفا ولم يزل على حاله حتى توفي في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وكان
معلوم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قد رسم به للقاضي شهاب الدين محمود ولم يزل عليه
إلى أن خرج إلى دمشق كاتب سر فأعطي المعلوم للقاضي صلاح الدين المذكور ولما توفي رسم بالمعلوم
للقاضي جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود يوسف بن محمد بن أحمد بن صالح بن صارم بن مخلوف
القاضي نور الدين بن تقي الدين بن جلال الدين بن تقي الدين الأنصاري الخزرجي المعروف بالقوصي
اجتمعت به بالديار المصرية ثم إنه ورد إلى صفد وكان في ديوان نائبها الأمير سيف الدين طشتمر
الساقي ثم توجه معه إلى حلب ثم إنه عاد إلى مصر واجتمعت فيها به سنة خمس وأربعين وسبعمائة
وكتب هو إلي لما قدمت القاهرة في هذه السنة ويد نالت الأنس مولانا فلما وجدنا الأنس إنتزعه
يدا كأن وهام الطرف مني في انتظار وبروم من الصبابة أن يراكا عجزت عن المزار فكنت ممن تواك به أتينا
من فواكا ولا عتب على شيخ ضعيف إذا ما قام لم يملك حراكا تعش لسعي الأحباب إنا إذا ما عشنا
عشنا في ذراكا وكان قد كتب إلي بالقاهرة في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة أبياتا جيدة ضاعت
من يدي وكتبت أنا الجواب في وزنها ورويها وهو هدية لي من نظمك الناضر زهر ربا قد يجتلى
نظمته شعرا فاق الورد عن كل معنى حسن نادر يجلى لطف نسيم الصبا إذا سرى وهنا على خاطر
يكاد من رقة الفاظه يشرب في كأس الطلا الدائر من كل معنى فائق لم يدر في فكر نظام ولا ناثر
أين ابن عنين المعاني التي فيه وما مرت على خاطر لو كان في عصر مضى ما رأى الناس البكا في الدائر
الداثر ولا روى العشاق مع وجدهم تشبيب مجنون بني عامر ولا رأى الناس غزال الحمى بروق فيه
غزل الحاجر وإنما يعزى لنظمه شواهد في المثل السائر قانته أولى الناس فينا بأن نعرف
بالساحر لا الشاعر علوت نور الدين في ذروة تسمو على الواقع والطائر والآن ما تنظمه لم يكن لأول
فينا ولا آخر شعر متى أتاه يقلس بنفسه لم يك بالكاسر ثالثه قد بالغت في وصف ما يقال في
الباطن والظاهر لأنني في أدبي قاصر اسبح في بحر النهى الزاخر وليس بالجمع مستحسنا في أدب
النادي ولا الحاضر وإنما يختار مولاي أن يكون من دون الورى جابري فاسلم ودم ما ابتسمت روضة
يبكي لها جفن الحيا الماطر وأنشدني بها الغزا نظمته في قصب السكر وهو عجيبة لمعسول الرضاب
مهفهف يحالي انا يجب القنا عند نبته تناقض معناه الغريب فبوله على الراس راس والنشا إن
في أسته ثم أنشدني هو من لفظه لنفسه فيه في حلب أبصرت أعجوبة تخرج أذكى الناس من عقله
شخصا رشيق القد عذب اللمى لا ينفد الروم على مثله وهو بلا عقل جزع الحشا والدود لا يشبع من
أكله لا يبرح البول على رأسه والقيد لا يتفك من رجله يا من سما بين الورى قدره اكشف لنا عنه وعن
أصله ثم أنشدني من لفظه لنفسه في العصفر أشبه عصفرا في الروض يزهي وتنقيطي لهيئته مقاربه

آخر التاريخ والحمد لله تعالى وذلك في ثاني عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تقديم

مازن عبد القادر المبارك

الحمد لله حمداً يبلغ رضاه، وينيلني رضوانه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، تلقّى وحي ربه، وفيه قصص عن أنبيائه، وأخبار عن أمم ماضية، وأحاديث عن رجال ونساء، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وفيه توجيه من ربّ العالمين ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف ١٢/ ١١١].

وما أخبار الرجال وصنائعهم وأحداث حياتهم بمعنىً من معانيها إلا تاريخهم، وما تراجمهم إلا صورة لذلك التاريخ؛ تنشر معناه، وتبعث ذكراه بعد أن طوتهم القرون وغيّبتهم المنون.

ولقد اعتاد الناس في كل زمان أن يهتموا بالبارزين من رجالهم، يتناقلون أخبارهم، ويروون مآثرهم. ويزداد اهتمامهم بسيرة الرجل إذا اتصلت حياته بحدث عظيم.

وما من رجل اهتم الناس بحياته، وتابعوا سيرته، ورووها وحفظوها وحفّظوها أبناءهم، كما اهتم المسلمون بحياة رسول الله وسيرته صلى الله عليه وسلّم؛ فلم يتركوا أمراً يتصل بحياته أو سيرته، صغيراً كان أو كبيراً، بعيداً كان أو قريباً، إلا جاؤوا به على حقّه، رواية وتثبتاً وتوثيقاً.

لقد تابعوا سلسلة نسبه صلى الله عليه وسلم وصلات قرابته، ورصدوا حركاته وسكناته، ودوّنوا كلماته، فما نطق صلى الله عليه وسلم بكلمة حدّث بها أحداً من الناس أو من أهله أو من أصحابه، أو رفع بها صوته في صلاته أو دعائه، أو ناجى بها ربّه، إلا كانت عند المسلمين حديثاً يدوّن ويتلى ويوثّق، وإن اختلفت رواياته وتعددت أسانيده.

لقد حفظ المسلمون سيرة نبيّهم بأحداثها وتواريخها وأسمائها، وحفَّظوها أولادهم حتى قال قائلهم: كنا نحفّظ أولادنا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه كما نحفّظهم السورة من القرآن.

ولا شك أن تدوين أطراف من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قد بدأت منذ عصر مبكّر، وإن ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري نقلوا عمّن سبقهم من أمثال عروة بن الزبير والشعبي وغيرهما.

ولم يلبث اهتمام المسلمين بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياته، وأفعاله وأقواله، أن اتّسع حتى شمل أصحابه، وكل من نقل أو روى عنه، لا لأنه نبي الله فحسب، ولا لأنهم صحابته ومرافقوه فحسب، ولكن لأن ما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم جزء من دينهم، لا بدّ فيه من الدقّة والأمانة والتثبّت، ولم يلبث أن أصبح الاهتمام بالرجال وتدوين تراجمهم علمًا مستقلاً قائمًا بنفسه، ككل تلك العلوم التي بدأت بادئ أمرها بدافع ديني، وظل بعضها ينمو ويتسع في إطار تلك الصلة، لأنه متصل بالدّين نفسه، وثيق الصلة بكتاب الله أو سنة نبيّه، كالتفسير والفقه وعلوم القرآن وعلوم الحديث، كما اتسع بعضها وتشعّبت فروعه، ثم استقلّ بنفسه، كعلوم البلاغة التي نشأت في كنف البحث عن الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن، ثم أصبحت عنصراً من عناصر النقد الأدبي عامة، ثم استقلت بنفسها، وكعلم النحو الذي نشأ بدافع المحافظة على اللغة عامة، ولغة القرآن خاصة، ثم لم يلبث أن أصبح علمًا قائمًا بذاته.

وكذلك اهتم العلماء بـ(الرجال)، من صحابة وقرّاء ومفسّرين ومحدّثين وفقهاء، كما اهتموا بالشعراء والأدباء واللغويين والنحاة والحكماء والأطباء والوزراء، بل لقد شمل اهتمامهم (الرجال والنساء) عامّة؛ فدوّنوا أخبار المشهورين منهم، أيّـًا كان ميدان شهرته، كما في كتب التراجم العامة.

ونمت الشجرة الطيبة التي غرسها الدين والحرص عليه في نفوس العلماء، حتى أصبحت فروعها نامية باسقة تشمل بلاد المسلمين كافة، وأصبحت علمًا برزت فيه أمتنا، يترجم العلماء فيه كل علَم من ذكر أو أنثى، أيّـًا كان مجال شهرته، وفي أي أرض عاش.

وكان للمكتبة العربية من ذلك ثروة لم تحظ بها في هذا العلم مكتبة أمة من الأمم، وكان لها في هذا العلم فنون ومناهج.

يترجم بعضها لأهل علم من العلوم.

ويترجم بعضها لأهل قرن من القرون.

ويترجم بعضها لرجال مدينة من البلدان.

ويترجم بعضها لعامّة الناس من أقدم الأزمنة حتى عصر المؤلف.

ويترجم بعضها لأهل عصر المؤلّف.

ولقد أقبلتُ على كتب التراجم منذ زمان تجاوز العقدين، كنت أقتصر قبلهما على قراءة كتب طبقات اللغويين والنحاة، ككتب السيرافي والزبيدي والقفطي والسيوطي، ثم انتقلت بعد ذلك إلى صحبة الرجال من كل فنّ؛ أقرأ الكتاب، لا أقرأ بحثًا عن ترجمة أحد، ولكني أقرأ الكتاب من أوله إلى آخره، كما أقرأ ديوان الشعر. ولست أكتم أنني لم أجد أحلى للنفس متعة، ولا أبعد عنها سأمًا، ولا أجدى عليها عائدة، ولا أبلغ فيها عبرة من كتب تراجم الرجال؛ تعيش معهم، تستمتع بطرائفهم، وتتنقّل بين طبقاتهم، وتفيد من تجاربهم، وتعتبر بما حدث لهم، ولا تملّ النظر في سلسلة من حياة الناس تعرضها أمامك مرآة أصدق من مرآة عصرك، وأبعد عن الزيف والخداع والمداهنة والرياء.

وحين وضعت لجنة التحقيق والنشر في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي عدداً من الكتب المخطوطة بين يديّ، وطلبت ترشيح أحدها للنشر، وقع اختياري على كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) للصفدي، لأسباب منها:

(١) أن الكتاب - كما رأيت - مصدر من أهم مصادر القرن الثامن للهجرة (٦٩٦ - ٧٦٤هـ)، بما ضمّ من تراجم أهل ذلك القرن، وبما ورد في تراجمهم من أخبار وأحداث نثرها الصفدي، مجملة في حين، ومفصّلة في حين آخر، وبما نقل المؤلف فيه من كلام الناس وألفاظهم وألقابهم وتعبيراتهم، كما سمعها، وما نقل من تراجم بعض العلماء الذين استكتبهم تراجمهم، وما ذكره عن علماء عصره الذين عرفهم واتصل بهم.

والقرن الثامن للهجرة قرن غنيّ بمن عاش فيه من الرجال الذين تركوا آثاراً جليلة في كثير من ميادين الحكم والعمران والثقافة واللغة والأدب والنحو والفقه والتاريخ.

(٢) أن الكتاب مصدر توثيق لكثير من المعلومات التاريخية والاجتماعية والثقافية عن القرن الثامن؛ فلقد كان الصفدي يهتم بالمنزلة الاجتماعية لمن يترجم له، وبمكانته بين أقرانه، كما يهتم بتوثيق ما يقدّمه وضبط ما ينقله؛ من اسم ولقب وتحديد سنة الوفاة إذا ثبتت عنده، وذكر الشيوخ الذين لقيهم المترجَم أو أخذ عنهم، وذكر تلاميذه الذين أخذوا عنه، وتسمية مؤلَّفاته...

وإذا كان المترجَم من أصحاب المناصب وأولي النفوذ والسلطان، كالأمراء والحكام والولاة، أصبحت الترجمة الصفديّة أقرب إلى التاريخ ووصف أعمال المترجم، وذكر الأحداث التي وقعت في عهده.

(٣) أن الكتاب موسوعة للتراجم والتاريخ والاجتماع واللغة والأدب وغير ذلك..؛ ففيه أخبار الرجال وسيرهم لمن أراد التراجم، وفيه الوقائع والأحداث لمن أراد التاريخ، وفيه العادات والتقاليد لمن أراد الاجتماع، وفيه النصوص الأدبية من شعر ونثر ومحاورات ومخاطبات، إلى جانب اللغة المحكيّة والأحاديث اليوميّة وما دار فيها من مصطلح ودخيل وعامّي. وفيه إشارات توثق بعض آثار ذلك القرن من مساجد وقلاع وسواها. وإنّ في كل ذلك لجديداً لا تجده في غيره.

(٤) أن الصلاح الصفدي، مؤلف (أعيان العصر وأعوان النصر)، إمام في الفقه واللغة والأدب والنقد والشعر والتاريخ، أخذ عن أعلام عصره كالحافظ المزي وابن جماعة وابن نباتة وأبي حيان والذهبي وابن سيد الناس.. وأنه على كثرة ما جمع من العلوم، يكاد يكون مختصّاً بعلم تراجم الرجال؛ وأن كتابه (الوافي بالوفيات) لجدير بأن يمتاز به من بين نظرائه ويعليه بين أصحاب التراجم، وهو صاحب المقدمة التي قال فيها الأستاذ محمد كرد علي - رحمه الله -: «هذه المقدمة وحدها كتاب علم برأسه، تنم على فضل كاتبها. وإن تاريخه جعبة من الفوائد والأوابد، فهي أشبه بمقدمة ابن خلدون لتاريخه. ومقدمة الصلاح الصفدي تعلي منزلة تاريخه الوافي الشافي».

(٥) أن الصفدي - رحمه الله - نشر في كتابه (أعيان العصر) صفحة من صفحات الحضارة الإسلامية في القرن الثامن للهجرة، ولم يكن في كتابه مجرد ناقل لتراجم الرجال،

يسرد أخبارهم بعيداً عنهم، لقد كان الرجل ذا حسّ إنساني تاريخي يرى في تراجم الرجال، والكتابة عنهم تاريخًا ممتعًا ومفيدًا، ويرى في التاريخ مرآة للزمان.

لقد كان الصفدي يستروح إلى مطالعة أخبار من تقدّم، ومراجعة آثارهم، لأن الاطلاع على أخبار الماضين ووقائعهم ومآثرهم يجعلك معاصراً لهم وكأنهم لداتك وأترابك، من ساءك منهم عدوّك، ومن سرّك صديقك، ولكنهم درجوا قبلك وأنت على أثرهم.. فكيف إذا كان الذين يترجم لهم معاصرين له، قريبين منه. يقول الصفدي: «إن التاريخ للزمان مرآة، وتراجم العالم للمشاركة في المشاهدة مرقاة، وأخبار الماضين لمن عاقر الهموم ملهاة».

وهكذا يطل علينا الصفدي من خلال كتاباته عالمًا ثاقب النظرة، واضح الفكرة، يرى في ذكر تراجم الرجال تاريخًا يصوّر العصور الماضية، ويعكسها كما تعكسها المرآة، ويرى في الاطلاع على تراجم الرجال مرقاة إلى المشاركة في مشاهدتهم، ويرى في أخبارهم عزاء وسلوى.. ويرى في ذلك كله تاريخًا يفيد حزمًا وعزمًا، وموعظة وعلمًا، وهمّة تُذهب هَمًّا، وبيانًا يزيل وهْنًا ووهمًا. لذلك كله جمع الصفدي تراجم أعيان عصره، ونشر أخبارهم شأن من يرى في ذلك بعثًا لهم، قال: «والتاريخ فنّ لا يملّه طرف مطالع، ولا يسأمه سمع مصغٍ ولا مراجع. ولا يخلو من يقف على التاريخ من فائدة.... فإذا راجع التاريخ كان كمن شاهد من مضى، وعاين ما جرى به القدر عليه وقضى، وأنا أرى التاريخ والترجمة معَاداً ثانيًا في المعنى لا في الوجود».

(٦) أن المؤلف قريب ممن يكتب عنهم، فليست أحكامه عليهم ولا أوصافهم التي يعدّدها منقولة كتلك التي ينقلها المؤلفون جيلاً عن جيل، ولكنها بنت المشاهدة والمشافهة. فما في أعيان العصر إلا ترجمة لمن أدركه المؤلف، أو لقيه، أو كان في زمانه ولم يره، ولكن نقل الأثبات إليه خبره، على نحو ما قال في مقدمته، وختم بقوله: «وأبتدئ ذلك من سنة ٦٩٦هـ وهي سنة مولدي».

(٧) أني عرفت الصفدي صاحب منهج واضح؛ يبسط منهجه بين يدي قارئه؛ فلقد رأيته في (الوافي) يفصل الحديث في مقدمته عن طرق المؤرخين في ترتيب مصنفاتهم، ثم يذكر ما يراه الأليق بالتاريخ، وما يراه الأليق بالتراجم، وكذلك يختار الأليق من أنواع ترتيب

الحروف، ويذكر طريقته في ضبط الأسماء والألقاب، وترتيب تتابعها، ويشير إلى ما ينبغي أن يكون المؤرخ عليه من الصدق والأمانة والدقة، وما ينبغي أن يكون من يترجم الرجال متصفاً به، من الاعتدال، والبعد عن الهوى، والاطلاع على أحوال الرجال، والقرب منهم. كما رأيته يدقق في تواريخ الوفيات، وآية ذلك أنه ترك عدداً من المترجمين لم يذكر سنوات وفياتهم؛ وهو لم يتركها سهواً ولا نسياناً، ولم يتركها لأنه وضع كتابه مسوّدة على عزم العودة إليه وتبييضه واستكمال نقصه كما ذهب إليه المحقّقون، ولكنه تركها لأنه ألزم نفسه ألاّ يذكر إلاّ ما تحقّق منه وثبت عنده، وقد سبق له أن قال في مقدمة كتابه الوافي: «ولم أخلّ بذكر وفاة أحدٍ إلاّ فيما ندر وشذّ، لأني لم أتحقّق وفاته».

(٨) ونضيف إلى ما سبق، أن كتاب (أعيان العصر) يعدّ بأسلوبه اللغوي، وتعبيره الأدبي، مثالاً من أمثلة الكتابة في عصره، وأنه يلقي الضوء على حياة مؤلفه بما فيه من إشارات كثيرة إلى شيوخه ومساجلاته وأشعاره، وتأريخ بعض مراحل حياته، وهو واحد من أشهر أعلام عصره، وأكثرهم آثاراً، وتأليفاً، درس القرآن والحديث والفقه، والنحو واللغة والأدب، وجوّد الخطّ، ونظم الشعر، وألّف في التاريخ والرجال والأدب والنقد واللغة والبلاغة.

(٩) أن كتاب (أعيان العصر) ليس كما يُظن مختصراً لكتاب (الوافي بالوفيات)؛ ولقد قال مؤلفه في مقدمته «كنت أنفقت مدة من العمر في جمع تاريخي الكبير الذي سميته الوافي بالوفيات، إلاّ أنه جاء مطوّلاً، فأردت بعد فراغي منه أن أقتصد وأقتصر، وأجمع تاريخاً لمن أدركه عصري، أو كان في زماني ولم أره، أو نقل الرواة الأثبات خبره، وابتدأت ذلك من سنة ست وتسعين وست مئة، وهي سنة مولدي..». ولكن الكتاب الجديد ليس في حقيقته مختصراً من (الوافي) وذلك على عادة القدماء حين يعيدون تأليف كتابهم مرتين أو ثلاثاً، أو يخرجون منه نسخة كبرى ونسخة وسطى أو صغرى، أو حين يختصرون، فإذا في الكتاب الجديد جديد لم يحوه القديم، يؤيد ذلك:

١ً - أن في أعيان العصر تراجم لا ذكر لها في (الوافي).

٢ً - أن في كثير من التراجم المكرّرة في الوافي وفي الأعيان توسّعاً وتفصيلاً لا اختصاراً وإجمالاً. يقول الدكتور فؤاد سزكين صاحب الفضل في الطبع التصويري للمخطوطة التي

أصدرها معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية من كتاب الأعيان سنة ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م: «إن المؤلف يسرد في كتابه هذا أيضاً - يعني الأعيان - عدداً من تراجم الوافي بالوفيات، وذلك دون اختلاف بيّن بين الصيغتين في عدد من الحالات، بينما يلاحظ في كثير من التراجم المشتركة توسّع كبير في كتاب الأعيان مقارنة بما في الوافي. هذا بصرف النظر عمّا يسرده من تراجم أعيان عصره الواردة في كتاب الأعيان فقط».

ويؤيد هذا الاختلاف بين الكتابين، والتوسّع في كتاب الأعيان أيضاً ما ذكره الدكتور عدنان درويش في كتاب (صفي الدين الحلّي) الذي استخرجه من كتاب (الأعيان) للصفدي حيث يقول: «وعلى الرغم مما يبدو من احتفال بعض هؤلاء المؤرخين بالحلي وإطلاقهم العنان لأقلامهم في مدحه، وبسطهم القول في إطرائه والثناء على شعره وفضله في غيره من فنون الأدب من الكتابة والإنشاء والترسّل، على الرغم مما نجده من ذلك كله في كتبهم فإنهم لم يبلغوا شأو الصلاح الصفدي في إيلاء الصفي الاهتمام الوافي والاحتفال الزائد حين ترجمه في كتابيه (الوافي بالوفيات) و(أعيان العصر وأعوان النصر)، إلاّ أنه بسط الكلام بمدحه في الثاني بسطاً عريضاً، وأفاض بالإعجاب به إفاضة واسعة، ولا غرو في ذلك فأبو الصّفاء الصفدي معاصر للحلّي ورصيفه وأديب مثله، ينظم الشعر ويتذوّقه، وبينهما مطارحات شعرية ومعارضات، كل ذلك نراه مبسوطاً في (أعيان العصر وأعوان النصر)، هذا الكتاب الجليل الحفيل الذي لا يزال يرقد بكنوزه بين ذخائر المخطوطات العربية، لم ترفق به يد محقّق تجلو عنه غبار الإغفال، وتخرجه إلى ناس عالم الأدب منشوراً».

وبعد فهذا كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) للإمام الصفدي، تولى مسؤولية تحقيقه الدكتور علي أبو زيد، واختار للعمل معه ثلاثة من زملائه في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق، وهم الدكتور محمود سالم محمد، والدكتور نبيل أبو عمشة، والدكتور محمد موعد. ولقد عرفتهم جميعاً وعرفت ما قدّموه في مجال التأليف والتحقيق؛ عرفت (المدائح النبوية) للدكتور محمود سالم وعرفت (غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب) و(شرح الشافية) للجاربردي بتحقيق الدكتور نبيل، وعرفت (المجيد في إعراب القرآن المجيد) للسفاقسي بتحقيق الدكتور موعد.

وأما الدكتور أبو زيد فقد عرفت مشاركته في تحقيق أجزاء من (سير أعلام النبلاء)، و(البداية والنهاية)، و(الحلّة السيراء)، و(تفسير الباقيات الصالحات)، و(مختصر لآلئ العرب) وغيرها.

وكان من محاسن التحقيق الذي رافقتهم في مراحله الأولى أنهم صدروا جميعاً عن منهج واحد تواضعوا عليه والتزموه، وأنهم على قيام كل منهم بتحقيق نصيبه من الكتاب، قام الدكتور أبو زيد بالتنسيق بين أعمالهم حتى جاء الكتاب وكأنه صدر عن قلم واحد. وقد بذلوا في ذلك جهوداً طيّبة، واستطاعوا التغلّب على كثير من العقبات التي اعترضت العمل حيناً، وأخّرته حيناً آخر، وضاق الصدر عن قليل منها فتركوه، حتى جاء على هذا الشكل الذي أضفت عليه الدار الناشرة - وهي دار الفكر بدمشق - كثيراً من دقّتها وذوقها في الإخراج.

جزى الله مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، صاحب الفضل في إخراج هذا الكتاب خير الجزاء، لما يقوم به من إحياء التراث وبعث نفائسه وتشجيع نشره، فلقد استطاع في زمن قصير أن ينشر عدداً من الكتب الجليلة في الفقه والتاريخ والنحو والأدب. وأثاب الله المحققين كفاء ما بذلوا من جهد ووقت. وأمدّ الدار الناشرة بالعون والسَّداد لمتابعة النشر العلمي الأمين. ورحم الله الصلاح الصفدي، الذي كان ابن واحد من المماليك فرفعه الله بإيمانه وعلمه درجات، بلغ بها مرتبة الإمامة؛ ﴿وإذا قيل انشُزوا فانشزوا يرفعِ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ [المجادلة ٥٨ : ١١] والحمد لله رب العالمين.

مازن عبد القادر المبارك

دبي في ٢٠ من شعبان سنة ١٤١٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

كلمة أولى :

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ،

فإننا ما زلنا نكتشف كنوزاً جديدة من تراثنا كانت حبيسة الرفوف ، ثم قيَّض الله لها أن ترى النور وتخرج للناس وينتشر ما فيها من علم بينهم .

وكتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) للصفدي واحد من أهم مصادر القرن الثامن ، كانت أجزاؤه متناثرة في عدد من مكتبات العالم ، ولم يُقَيَّض له من يجمعه ويخرجه ، إلى أن قام البحّاثة الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين بتصوير مخطوط الكتاب ونشره كما هو ، فنبَّه الناس عليه ، ودلَّهم على ما فيه .

ومنذ أن وقفتُ على هذا المخطوط واطَّلعتُ على ما فيه وَقَرَ في نفسي أن أقوم بتحقيقه ، بيد أن الأمر وقتها كان صعباً ، والظروف لا تعين عليه .

وقد شاء الله تعالى أن يعينني على تحقيق ما كنت أصبو إليه ، ويقيض لي من سبل التيسير ما لم يكن بالحسبان . فتضافرت جهود كثيرة ، ونوايا طيبة مخلصة هيأت لهذا الكتاب أن يرى النور محققاً على وجه نسأل الله أن يكون مقبولاً .

فقد رغب إلي الأخ الفاضل محمد عدنان سالم مدير عام دار الفكر العامرة أن أتولى تحقيق الكتاب والإشراف على إنجازه ، تاركاً لي اختيار من يعينني على هذا الأمر . فتخيرت لذلك من توسمت فيهم الخير والمقدرة ، ووضعت منهجاً للتحقيق يتناسب

ومضمون هذا الكتاب وحجمه ، وشرعنا بالعمل ، وها هو اليوم قد انتهى على أتمّ وجه نستطيعه ، والله نسأل أن ينفعنا به جميعاً .

ولا بدّ في هذا المقام من شكر أهل الفضل الذين كان لهم أياد بيض على هذا العمل ، والاعتراف بجميلهم وحسن صنيعهم .

ففي مقدمة هؤلاء أستاذنا الجليل المفضال الأستاذ الدكتور مازن المبارك ، أمدَّ الله في عمره ، وبارك له فيه ، فقد كان وراء هذا العمل يحثنا على إنجازه ، ويوجهنا بآرائه السديدة ونظراته الصائبة ، نلوذ به كلما حزبنا أمر أو أشكلت علينا قضية ، أو فترت لنا همّة ، فنجده أباً حنوناً ، وأستاذاً عطوفاً ، وعالماً خبيراً ، يفيض علينا بنصائحه وتوجيهاته التي نهتدي بها حتى أُنجز هذا الكتاب ، فله منا الشكر أتمه وأجزله ، والعرفان بفضله ، ضارعين إلى الله عزّ وجلّ أن يديمه ذخراً للعلم وأهله .

ومنهم الباحثون الأفاضل والقيمون على مركز جمعة الماجد بدبي ، إذ كان لهم فضل البحث والتنقيب عن مخطوطات الكتاب وتصويرها من شتى مكتبات العالم ، فجزاهم الله خيراً ، وأعانهم على فعل الخير دوماً .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أسجل الشكر والامتنان للأخ الفاضل الأستاذ محمد ناصر العَجْمي ، الذي قدم لي بكل نفس رضية عدداً من الأجزاء المخطوطة للكتاب كانت في مكتبته . أثابه الله عنا كل خير .

وها هو كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) يرى النور من جديد بعد أن ران عليه غبار نحو سبعة قرون ، وقد بذلنا فيه من الجهد ما أعاننا الله عليه ، مع الحرص على خدمة هذا الكتاب وتحقيقه تحقيقاً علمياً يعين القارئ على الإفادة والنفع منه ، راجين الله تعالى أن يتقبله منا ، وأن يغفر لنا زلاتنا ، فما نحن إلا بشر من البشر ، نخطئ ونصيب ، والله المستعان ، هو حسبنا ونعم الوكيل .

الكويت في : رمضان المبارك ١٤١٦ هـ
آذار ١٩٩٦ م

علي أبو زيد